اللغة من نعم الله جلّ وعلا (الحلقة الأخيرة)

بقلم : نجم الحق الندوي

وبعد ذلك أسست كلية فورنت بوليم (Fourth Welum) سنة ١٨٠٠م ، ونشأت من هذه الكلية وتأسيسها لهجة أخرى غير اللهجة الفصحى ، ولكن تلك اللغة المخلوطة غير الفصحى ليست لغة عامة الناس ، بل هي صورة من اللغة السنسكراتية المخلوطة ، وهذا التغيير يبلغ إلى رقي وإزدهار بمساعدة أشور جندر ، وظهر التغير والفرق البائن بين لغة المسلمين ولغة الأشوريين الهندوسيين ، ولكن المسلمين المنهزمين المنكوبين في ساحة فلاشي بعد سقوط دولتهم على يد الإنجليز لم يقدروا على إحتجاج وهتافات على أداء مطالبهم ، وليست قوة ولا سلطة على الثورة في ذلك الوقت ، ولهذه الإتجاهات تطورت هذه اللغة على أيدي الهندوس وترقت في البيئات الهندوسية ، وما انحطت منها إلاّ الثقافة الإسلامية في هذه اللغة .

وبعد زمن طويل توجه المسلمون إلى تطور هذه اللغة مرة أخرى ، ولكن اضطرتهم الأوضاع والظروف على اتباع الهندوس في هذه الأمور ، فهذه الإتجاهات غلبت عليها الثقافة الهندوسية بدل الثقافة الإسلامية، ونتيجة هذه النهضة حاول الأدباء والشعرآء المسلمون أن يتخذوا الألفاظ الأردية والفارسية والعربية بمصطلحاتها في أشعارهم وخطبهم واشتعلوا بثورة على مطالبة دولة مستقلة ، وحاولوا لقيامها بالعدد والعدد ، وجاهدوا بغاية جهدهم ورافقهم على هذه المطالبة القادة المسلمون الذين يدعون الناس إلى دولة مستقلة إسلامية باسم باكستان، وسارع البنغاليون بقبول دعوتهم راجين بحل قضاياهم الأصيلة ، فتأسست دولة باكستان ، ولكن لم تشرق الشمس على البنغاليين بحل قضاياهم ، بل السلطة الباكستانية ورجال الدولة الباكستانية دبروا مؤامرة شنيعة باللغة البنغالية ، وحاولوا لإماتتها وسدوا طرق رقي هذه اللغة وإزدهارها وتسلطت على سكان باكستان الشرقية (بنغلاديش) لغة أجنبية أردية بالضغط والشدة بإعتبار اللغة الرسمية مكانها لغتهم الوطنية البنغالية ، ونتيجة لهذه المؤامرة الكريهة اشتعلت نار الثورة وساهم في هذه الثورة التاريخية جماعة كبيرة من المثقفين والصناعين والتجار والأدباء والشعرآء حتى عامة الناس ، وطالبوا من الدولة الباكستانية ذلك اليوم إتخاذ لغتهم الوطنية من حيث اللغة الرسمية في ولايتهم الباكستان الشرقية ، وترويج هذه اللغة في الوزارة والمكاتب وفي الشؤون الدولية والتعليمية كلها لتكون هذه اللغة لغة الأدب والثقافة للمسلمين في الولاية الشرقية ، وقاد على هذه الثورة عدد كبير من طلاب الجامعات والكليات ولا سيما جامعة داكا ، انطلقت رصاصة بندوقية على الطلاب الثائرين ، وجرح كثير منهم ، وكثير لقوا حتفهم وكان منهم " سلام " و " رفيق " و " بركت " و " جبار " وذلك وقع في الحادي والعشرين من فبراير ١٩٥٢م ، وتذكروا ذلك اليوم إلى الآن بالعزة والكرامة وأسسوا موضع تلك الغارة والمذبحة نصبا تذكاريا ، وذلك النصب التذكاري يبقي قائما للشهادة على هذه الواقعة التاريخية .

اللغة البغالية والدعوة الإسلامية

تشرف البنغاليون بالإسلام بعناية الهند الجنوبية والدعوة الإسلامية في اللغة البنغالية لم يشهد بها التاريخ إلا نادراً ، والسبب لذلك أمور كثيرة .

* أولا : أن اللغة الوطنية هي ركيزة أساسية وأصل أصيل لنهضة الأمم وإزدهارها وتقدم الشعوب ورقيها في كل عصر ومصر و في كل زمان ومكان ، وإن هذه اللغة لم تأخذ مكانها في الدولة الإسلامية بأسباب متعددة منها : أن اللغة الفارسية كانت لغة رسمية منذ بداية تأسيس الدولة الإسلامية إلى زمان ، وإن كان تطور هذه اللغة بدأ في الدور المغولي ، ولكن لم يبلغ إلى أرفع منزل من المنازل ، لأن اللغة الفارسية غلبت على المجتمع الإسلامي طبيعيا في الهند إلى مدة ، وتحولت بعد سقوط الهند على يد الإنجليز أردية بل مخلوطة بالفارسية والأوردية ، وطرق التعاليم للمؤسسات الدينية الكبيرة مثل دار العلوم بديوبند ودار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ - الهند - أردية .

* ثانيا : أن المجتمع البنغالي في ذلك الزمان كان غارقا في البدع والخرافات ، ولم يكن متحضرا راقيا عمّ فيه الجهل والأمية ، وإن الدعاة والمصلحين لذلك الوقت يؤدون مسؤولياتهم نحو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالوعظ والإرشاد والنصيحة الغالية وبالكتابة والخطابة باللغة الأوردية والتي كانت لا تليق بالمجتمع البنغالي ، لأن الناس لا يفهمون هذه اللغة الأجنبية فهما تاما ، وكانوا يواجهون المشاق في فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ويقاسون عناء في إدراكهما من الكتاب والسنة ، ولم توجد الكتب الإسلامية الصحيحة

باللغة البنغالية التي ترشدهم إلى العقيدة الإسلامية وتهديهم إلى الثقافة الإسلامية، وما كان يلتفت علماء البنغال والدعاة والمصلحون إلى ذلك الجانب الهام ، بل إنهم كانوا يعدون هذه اللغة الوطنية لغة الهندوس ، ويقولون : لا يجوز حصولها في الشريعة الإسلامية خوفا بالتشابه كما رواه أبو داؤود (من تشبه بقوم فهو منهم) فضلا أن يتخذوا هذه اللغة طريقة للدعوة والتبليغ وكان هذا تفريط منهم .

وأول من اعتنى هذا الجانب الهام الداعية الكبير الشيخ أبو بكر الصديق القريشي الفروزي من أتباع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، فألف الكتب الدينية في اللغة البنغالية ، وقد ألفت كتب كثيرة دينية في اللغة البنغالية تحت إشراف الشيخ أبي بكر الصديق القريشي الفروزي ، وذلك إلى عدد كبير في مختلف الموضوع من موضوعات الجدال والنقاش وفي إبطال المذاهب الهدامة والفرق الضالة الباطلة ضد التبشير المسيحي و القاديانية والشيعة وأهل البدع والخرافات وبعض في أحكام الشريعة ومسائلها ، فنفعت هذه الكتب الدينية نفعا عظيما ، وقامت بدور هام في مجال الدعوة والتبليغ في هذه البلاد المسلمة في ذلك الحين .

كما صدرت مجلات و جرائد باللغة البنغالية من ولاية آسام وتريبورة والبنغال الشرقية (بنغلاديش اليوم) والبنغال الغربية تحت إشراف الشيخ أبي بكر الصديق ومساعدته ، ونتيجة لذلك الأعمال الجليلة انتفضت الأمة البنغالية بالنهضة والصحوة الإسلامية والتوعية الدينية في بنغال وما يليها في أقرب فرصة .

وزيادة على الفرح والسرور بأن هذه اللغة تطورت وازدهرت وانتشرت بعد استقلال دولة بنغلاديش وذلك في عام ١٩٧١م بعد حرب طويلة واستمرت إلى تسعة أشهر ، ونشأت فيها الطلاوة والرونق واتخذت طرق التعليم والدعوة وفي الشؤون كلها ، وتحولت الثقافة الهندوسية إلى الثقافة الإسلامية وأخذ بميل جيل الشباب الحديث إلى إتخاذ الدعوة وقبولها بعد أن كانوا منحرفين عن الدعوة الإسلامية ، لأن الدعوة والتبليغ كانت منحصرة على اللغة الأردية التي لا يعرفون ولا يأنسون بها وآدابها ومصطلحاتها ، وذلك نتيجة أخذ الطريقة القرآنية في الدعوة حيث قال الله تبارك وتعالى بلسانه البليغ ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ .